توحيد المصطلح في علم الأصوات

الدكتور جعفر عبابنة

الجامعة الأردنية / عمان

إن استقرار مصطلحات علم من العلوم دليل على نضج ذلك العلم وبلوغه حدّ الاكتمال. وإن كثرة المصطلحات وتعددها في علم قد رسخت أصوله واستقرت أركانه، هما أمران مُضِرّان من حيث التعليم ومن حيث الثقافة العامّة. فمن الناحية التعليمية، يربك تعدّد المصطلحات الطلاب على اختلاف مستوياتهم الدراسية ويبلبل أفكارهم. ومن الناحية الثقافية العامة لايعرف القارئ أو السامع مرجعيّة المصطلح الذي قرأه أو سمعه على وجه التحديد، ولايعرف نسبته إلى علم من العلوم على وجه التعيين.

ومعلوم أن الألفاظ ألفاظ أيّ معجم في أية لغة عرضة للاحتمال وتعدّد المعنى ولا ينفي تعدّد المعنى أو يقيد الاحتمال سوى أمرين: أولهما : ورود الكلمة في سياق محدّد، وثانيهما: صيرورة الكلمة مصطلحا فنيا يدل على موضوع معين أو مفهوم محدّد متى ما ذكر ذلك المصطلح قفز ذلك الموضوع أو ذلك المفهوم إلى ذهن سامعه.

والناظر في علم الأصوات في العربية يجد مصطلحات متعددة للمفهوم الواحد على الرغم من استقرار ذلك العلم ورسوخ أركانه في العربية نسبيا. وقد بلغت كثرة المصطلحات حدّ الفوضى، وبات الترادف فيها من المشكلات الكبرى التي يواجهها دارس الأصوات العربية. ومعظم هذه المصطلحات اجتهادات أو اختيارات فردية، لم تُتّبع في وضعها مقاييس محدّدة أو منهجية واضحة. ويزيد الطين بلّة الاختلاف في المصطلحات بين المشارقة والمغاربة، والاختلاف بين المشارقة أنفسهم أوبين المغاربة أنفسهم.

وليس المقصود هنا استيعاب كلّ المصطلحات التي حصل فيها ترادف شديد في علم الأصوات، بل المقصود هو إعطاء نماذج قليلة دالّة على الفوضى السائدة في مصطلحات هذا العلم.

فمثلا نجد للمصطلح الأجنبي(consonants) المقابلات التالية: الصحاح أو الحروف الصحيحة، الصوامت، السواكن. ونجد للمصطلح الأجنبي(vowels) المقابلات التالية: العلل، حروف العلة، الصوائت، حروف اللين، الحركات، حروف المدّ، المصوّتات.

ونجد مقابل المصطلح الأجنبي(phonology) : المصطلح المعرّب: فونولوجيا، كما نجد المصطلحات أو الترجمات التالية: الصوتيّات، التصويتية، الصواتة، علم وظائف الأصوات، علم الأصوات التنظيمي، علم التشكيل الصوتي، علم الأصوات الوظيفي.

وفي مقابل المصطلح الأجنبي (suprasegmental) نجد المصطلحات أو الترجمات التالية: فوق التركيبي، غير التركيبي، فوق المَقْطَعي، التطريزي، الفَوْقِطْعي،

الفَوْمَقْطَعِي.

وفي مقابل المصطلح الأجنبي (phoneme) نجد المصطلحات أو الترجمات التالية: حرف، حرفيم، صوتم.

وفي مقابل (stop) نجد: الوقفي، الانسدادي، الانحباسي، الشديد، الانغلاقي. وفي مقابل(diphtong) نجد: الحركة المركّبة، الصائت المركّب، الصائت المزدوج، الصائت الثنائي، العلة المركّبة، العلة الثنائية. وفي مقابل (juncture)نجد: المَفْصِل، السكتة، الوقفة. وفي مقابل (affricate)نجد مصطلحي المركّب والمزجي. وفي مقابل (trill)نجد مصطلحي المكرّر والتردّدي.

وفي مقابل (phonetics) نجد: علم الأصوات العام، الفونتيك، الصوتية. وهكذا ، حتى شمل الترادف والاشتراك معظم المصطلحات المتصلة بالمفاهيم الأساسية في علم الأصوات.

وللخروج من هذا الوضع أقترح الأفكار التالية:

1 - إذا كان بين البدائل المقترحة للمفهوم العلمي أو المصطلح الأجنبي مصطلح تراثي فيفضل الأخذ به وإهمال ماسواه. ويلاحظ هنا أن المصطلحات القديمة أو التراثية على أنواع: فبعضها يقابل المصطلحات الأجنبية الحديثة مقابلة تامة، ويستوعب المفهوم العلمي الحديث استيعابا كاملا كما في المصطلح(الصحاح) أو (الحروف الصحيحة) ترجمة ل.consonants ونحن نفضّله على المصطلحات الأخرى كالصوامت والسواكن لأننا نستغرب وصف أي صوت بالصمت أو السكون. ونفضل مصطلح (المخرج) ترجمةً لِ point of articulationعلى نقطة التدخّل أو موضع النطق. ونفضل المصطلح (شديد) ترجمةً لِ stop على بقية المصطلحات، لأنه يفي بالغرض، من حيث الدلالة على انحباس الهواء مع الصوت انحباسا تاما مقابل الرخو الذي لاينحبس الهواء معه انحباسا تاما. وبعضها يدل على المفاهيم الحديثة دلالة ناقصة مثل مصطلحي المجهور والمهموس مقابل voiced : وvoiceless ؛ فقد دار حول معناهما القديم جدل كثير، ولم يتفق العلماء على أن المقصود بهما حديثا يطابق المقصود بهما قديما مطابقة تامة. وهنا ينبغي الاحتفاظ بالمصطلح القديم ولو لم يستوعب المفهوم العلمي الحديث استيعابا كاملا، فنحن نحتفظ بالمصطلح القديم لأدنى ملابسة. وبعضها قد اعتراه الاشتراك في الاستعمال الحديث، مثل مصطلحي الشديد والرخو. فقد جُعلا ترجمةً ل stop و fricative وهذا يطابق المقصود بهما عند القدماء. ولكن بعض المحدثين جعلهما مقابلين ل tense و lax، على الرغم من اختلاف المقصود بمفهومي stop و fricativeمن ناحية، ومفهومي tense و lax من ناحية أخرى. وهنا ينبغي التغلب على الاشتراك اللفظي، والاكتفاء باستعمالهما مقابلين ل stop وfricative ، واختيار مقابلين آخرين ل tense و lax كالقوي والضعيف، مثلا.

على أن بعض المصطلحات التراثية قد اعتراها الاشتراك عند القدماء أنفسهم وذلك نحو لفظ المنحرف؛ فقد جُعِلَ عند القدماء، صفة لكلّ من اللام والراء. بيد أن القدماء، عنوا بانحراف اللام الانحراف في المخرج، وبانحراف الراء الانحراف في الصفة. وهنا ينبغي تجنب لفظ منحرف في وصف اللام والراء، واختيار المصطلح (جانبي) lateral في حالة اللام، والمصطلح التراثي (مكرّر trill) في حالة الراء.

وبعض المصطلحات التراثية لم يقصد بها قديما ما قصد بها حديثا، مثل مصطلحي: النبر مقابل stress والمقطع مقابل syllable ، فقد عني بالنبر عند القدماء تحقيق الهمزة وعدم تسهيلها، وعُني بالمقطع المخرج أو آخر مرحلة من مراحل إنتاج الصوت اللغوي. وقد شاع هذان المصطلحان شيوعا عظيما بحيث تُنوسي معناهما الأصلي. ولذلك يجب الإبقاء عليهما.

غير أننا قد نجد، في بعض الأحيان، في المقابلات العربية المقترحة للفظ الأجنبي عدة مصطلحات تراثية، إذ اقترح مثلاً لترجمة vowels المصطلحات: حركات، حروف علة، حروف لين، حروف مد. وهنا ينبغي أن نختار من بين هذه المصطلحات أكثرها دلالة على المفهوم العلمي للمصطلح الأجنبي، فنختار مصطلح الحركات، نفضّله على غيره لأنه يشير إلى أصوات يجري نطقها دون أن يعوق تيار الهواء اللازم لإنتاجها عائق، أو يعترضه معترض. أما مصطلح حروف العلة فيدل عند القدماء على مفهوم مختلف تماما عن الحركات، إذ لم يعتدّوا الحركات حروفا؛ ويشمل في مفهومه عندهم حروف المدّ وهي حركات طويلة خالصة، وحروف اللين وهي ذات طبيعة صامتية.وأما مصطلح حروف اللين فيشير كما أسلفنا إلى حروف ذات طبيعة صامتية لاصائتية كالواو في حوض والياء في بيت (والحركات كما هو معروف صوائت خالصة).

وأما مصطلح حروف المد فيشير إلى الحركات الطويلة فقط. والحركات من حيث الكم. كما هو معلوم، نوعان: طويلة وقصيرة. فلا يبقى أمامنا إذاً إلاّ مصطلح الحركات. ولابأس هنا أن يقترن مصطلح الحركات بالوصف فيقال: الحركات الطويلة والحركات القصيرة.

ونحن نفضل مصطلح الحركات على المصطلحين الآخرين: صوائت ومصوتات، وإن وجدنا جذور هاتين التسميتين عند القدماء أيضا، لأن التصويت صفة تشمل كل وحدات الكلام على اختلاف طبيعتها، بل إن في الحروف الصحيحة ما هو مجلجل كالحركات.

2 – وإذا لم يكن بين البدائل المقترحة للفظ الأجنبي مصطلح تراثي شائع فإننا نراعي الأمور التالية:

أ – أن نستبعد في بعض الحالات اللفظ المعرب أو المصطلح المفرد الذي لايفهمه إلا القلة من المختصين، ونكتفي بواحد من المصطلحات الأخرى إذا كانت جميعها دالّة على المعنى أومتساوية في الدلالة على المفهوم. وهذا ينطبق على المصطلحات المتعلقة بphonology ؛ إذ نستبعد اللفظ المعرّب: فونولوجيا، والمصطلحات المفردة (أي غير المركبة أو غير المتبوعة بقيد من القيود) مثل: الصوتيات، الصواتة، التصويتية، ونكتفي بواحد من المصطلحات الأخرى وإن كانت أقرب في طبيعتها إلى الشرح منها إلى المصطلح الفني الدقيق، مثل: علم وظائف الأصوات، أو علم الأصوات الوظيفي.

ب – في الحالات التي ليس فيها لفظ معرّب، وتتساوى المصطلحات في الدلالة على المفهوم، فإننا نختار مصطلحا واحدا منها ونقتصر عليه ونهمل ماعداه كما في مقابلات juncture وهي: المفصل، الوقفة، السكتة، ومقابلات palatal وهي غاري، حنكي. ومقابلات alveolar وهي لثوي، سِنْخي، نُخْرُوبي،

ومقابلات suprasegmental وهي غير تركيبي، فوق تركيبي، فوق مَقْطَعي، تطريزي، فَوْمَقْطَعي، فَوْقِطْعي. وليكن اللفظ الذي نختاره واضحا أو مأنوسا أكثر من غيره. كأن نختار في حالة juncture السكتة، وفي حالة palatal مصطلح غاري، وفي حالة alveolar مصطلح لثوي، وفي حالة suprasegmental مصطلح غير تركيبي.

ج - في الحالات التي ليس فيها مصطلح معرّب وتتساوى المصطلحات فيها من حيث قصورها عن أداء المفهوم المقصود فإننا نكتفي بمصطلح واحد نشيعه ونُميت ما سواه. وهذا ينطبق على المصطلحات المقابلة ل diphtong وهي: الحركة المركّبة، الصائت المركّب، الصائت المزدوج، الصائت الثنائي، العلّة المركّبة، العلّة الثنائية. وقصورها آتٍ من أنه لا ازدواج ولاتركيب في الحركات العربية لأن قوانين التركيب المقطعي تقضي بأن يكون في كل مقطع حركة واحدة فقط. وهو آتٍ أيضاً من استخدام كلمة العِلل، وهي تلتبس في العربية بحروف اللين ذات الطبيعة الصامتية لا الصائتية. وما يُسمّى بالحركات المركّبة في العربية ليس حركةً خالصة ولا علةً خالصة بل هو تتابع من حركة وحرف لين.

د - وفي حالات أخرى يستحسن الإبقاء على المصطلح الأجنبي نفسه ولاسيما إذا كان خفيفا وشيقا و لم يكن له مقابل عربي يؤدّي معناه، كما هو الحال في المصطلح phoneme. والفونيم بمعناه المعروف في علم الأصوات يشمل الحروف والحركات وكل ظاهرة صوتية غير تركيبية لها قوة تمييزية بين المعاني، كالنبر والمفصل. والترجمة العربية له وهي كلمة حرف لاتعبّر عن حقيقته، لأنها بمعناها التقليدي لاتشمل الحركات، ولأنها لاتعبر عن الفونيمات غير التركيبية التي ليست حروفا في طبيعتها ولا حركات. وينبغي أن نهمل اللفظين المعرّبين: حَرْفِيم وصَوْتَم، وذلك لغرابة تعريبهما ودلالة الأول منهما على الحرف مع مافيه من قصور عن أداء المعنى، ولتضمّن الثاني لفظ (صوت) والصوت كما هو معلوم هو مادة الحرف. يضاف إلى ذلك أن الصوت قد يكون غير بشري. وإن كان بشريا، فقد يكون غير لغوي. ومن هنا كان لابد من الاكتفاء بإيراد اللفظ الأجنبي نفسه ننقله بحروف عربية.

والسؤال الذي يثار الآن هو: كيف ننفّذ هذه الأفكار؟ وما آليةُ الوصول إلى المصطلح الصوتي المُوحّد في العالم العربي كلّه؟

نرى في الإجابة عن هذا السؤال أن تُؤلّف لجنة عربية تسمّيها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أويعيّنها اتحاد المجامع اللغوية العربية، وتكون مهمتها حصر كلّ ما أُلف في الأصوات في العربية، ثم حصر جميع المصطلحات الصوتية المستعملة فيها، والاتفاق على مصطلح واحد لكل مفهوم صوتي، مسترشدةً ببعض ما جاء في ورقتي هذه، وجعل ذلك كلّه في قائمة يجري توزيعها على المجامع والهيئات المعنيّة وعلى المختصين في علم الأصوات، ويتم الالتزام بها في المستقبل في التعليم

الجامعي والتأليف في الأصوات وفي إعادة طبع ما سبق نشره من كتب الأصوات. وللّجنة أن تستعين في عملها بالحواسيب وغير ذلك من الأجهزة الحديثة، وهي كثيرة في العالم العربي.

وعلى كلّ الأحوال، ينبغي أن نلحق بالمصطلح العربي الموحّد مقابله الأجنبي في المرّات الأولى من استعماله، حتى يألفه السامع أو القارئ ويعرف المقصود به ويرسخ في ذهنه.